

ولادة محمد (ص) الصادق الأمين



نورٌ سطع في الكون بولادة محمد (ص) في السابع عشرة من ربيع الأول من عام الفيل عند طلوع الفجر، ذلك هو اليوم السعيد، ولد محفوظاً معصوماً. ففي بيته كانت تعاني العزلة والانكفاء وسط صحراء قاحلة ومجتمع ملأه التخلف والعصبية القبلية والتفرقة.. أرض أهملها التاريخ وقطعتها الحضارة، ولدت تلك الشخصية التي أعادت صياغة الأحداث على هذه الأرض المنسية وأظهرت شبه الجزيرة العربية على واجهة التاريخ، لتشكل هذه الحادثة انعطافاً كبيرة ومهمة في حياة ومستقبل العرب والإنسانية جماء.. هي شخصية الرسول الأكرم محمد بن عبد الله (ص).. فهو تلك الروح العظيمة التي تسامت على أعراف بيئتها ومورثها الفكري المتخلف ليصنع ثورة قلبت بنجاحها كلَّ المعادلات الدينية والاجتماعية والسياسية التي كانت قائمة آنذاك، هو الفرد الذي صنع أُممَّةً أغنت البشرية بعطائهما الإنساني والحضاري، لما جاء به من قيم نبيلة وديانة سمحاء تکالب عليها الأعداء لتشويهها إلى وقتنا الحاضر.. فكانت ولادته المباركة تمثل نقطة الشروع نحو التغيير وصيرورة جديدة في المشهد الإنساني برمته، واجه التخلف والشرك والتعصب والهمجية، ولم تكن في جعبته سوى الكلمات وشخصيته الفذة المقنعة التي وظفها لخدمة رسالته النبيلة، فأسلم لأجلها الكثيرين من الناس واختصر بها وبما تملكه من عقلية متفتحة الكثير من الوقت والجهد لإقناعهم، وهو الذي كان يلقب في قومه (الصادق الأمين).. وتقول آمنة بنت وهب أم النبي "محمد (ص)" لما ولد محمد (ص) وسقط إلى الأرض، ثم رفع رأسه إلى السماء فنظر إليها، ثم خرج مني نوراً أضاء له كلَّ شيء،

وسمعت في الضوء قائلاً يقول: "إِنَّمَا قد ولدت سيد الناس فسميه محمدًا"، وجاء عبد المطلب لينظر إليه وقد بلغه ما قالت أمّه، فأخذه فوضعه في حجره ثم قال: "الحمد للذي أعطاني هذا الغلام الطيب الأرداً، قد ساد في المهد على الغلماً.." وُلد النبي ﷺ (ص) يتيمًا حيث توفي عبد الله بن عبد المطلب والد النبي محمد ﷺ (ص) عند رجوعه من الشام في تجارة لأبيه عبد المطلب، فمرض وتوفي من مرضه وزوجته آمنة حامل بمحمّد (ص) ودفن جثمانه الطاهر في دار النابغة بالمدينة المنورة. عاش النبي ﷺ (ص) في كنف وحضن أمّه آمنة حتى إذا بلغ ست سنين، أرادت أمّه أن تُفرجه فذهبت به إلى أخواله "بني عدي بني النجار" في المدينة، سافرت به من مكة إلى المدينة وعمره ست سنين، ما أجمل هذا الغلام وما أحلاه، حياته سعادة يذهب إلى أخواله فيرونـه ما أجمل هذا النور الذي يخرج من هذا الوجه الصغير، بعد أن فرح الغلام بأخواله رأـهم ورأـوه وفرحوا به، أرادت أمّه أن ترجع به مرة أخرى إلى مكة، خرجوا من المدينة وفي الطريق تعـبت أمّه ومرضـت وفي تلك اللحظـات قبض الله عزوجل روحـها، والغلـام صغير، أبوه مات قبل ولادته، أما أمّه فقد فـجـعـ بها وهو غلام لم يتجاوز السادـسة من العـمر، أمّه تـمـوتـ أمام عـيـنـيهـ وأبوـهـ فـارـقـ الدـنـيـاـ قـبـلـ أـنـ يـولـدـ، وأـمـهـ تـفـارـقـ الدـنـيـاـ وعـمـرـهـ سـتـ سـنـيـنـ، أيـ مـصـيـبـةـ أـلـمـتـ بـهـذـاـ الغـلامـ الصـغـيرـ أيـ كـارـثـةـ حلـتـ بـهـ، فـقـدـ وـالـدـيـهـ وـهـ فيـ هـذـاـ الـعـمـرـ. بـعـدـ وـفـاهـ أـمـهـ (صـ) تـكـفـلـ بـهـ جـدـهـ وـعـمـرـهـ سـتـ سـنـيـنـ، جـدـهـ عبدـ المـطـلـبـ ابنـ هـاشـمـ سـيدـ مـكـةـ يـتـكـفـلـ بـمـحـمـدـ (صـ) ذـوـ السـتـ سـنـوـاتـ، وـيـعـلـمـ مـعـ أـبـنـائـهـ الـبـقـيـةـ أـعـمـامـ النـبـيـ مـحـمـدـ (صـ). لـكـنـ لـمـ يـظـلـ النـبـيـ عـنـهـ إـلـاـ سـنـتـيـنـ فـلـمـ بـلـغـ الثـمـانـ سـنـيـنـ تـوـفـىـ اللهـ عـزـوجـلـ عبدـ المـطـلـبـ، أـيـضاـ فـجـعـ النـبـيـ بـجـدـهـ. فـتـكـفـلـ بـهـ عـمـهـ أبوـ طـالـبـ، ظـلـ النـبـيـ (صـ) فـيـ رـعـاـيـةـ وـعـنـاـيـةـ عـمـهـ أـبـيـ طـالـبـ، وـكـانـ أـبـوـ طـالـبـ يـحـبـهـ مـنـ بـيـنـ أـبـنـائـهـ وـرـعـاـهـ رـعـاـيـةـ كـبـيرـةـ، حـتـىـ أـنـهـ كـانـ يـعـلـمـهـ وـيـدـرـهـ مـنـذـ الصـغـرـ عـلـىـ التـجـارـةـ. وـأـمـتـازـ النـبـيـ مـحـمـدـ (صـ) بـالـأـخـلـاقـ الـفـاضـلـةـ وـالـسـفـاتـ الـحـمـيـدةـ مـنـذـ صـغـرـهـ. فـقـدـ كـانـ بـعـيـدـاـ عـنـ كـلـ مـاـ يـشـيـنـ سـمعـتـهـ سـوـاءـ فـيـ أـقـوالـهـ أـوـ أـفـعـالـهـ، مـتـواـضـعـاـ عـفـيـفـاـ وـكـانـ (صـ) حـلـيـماـ كـريـماـ سـخـيـاـ شـجـاعـاـ أـوـ فـيـ الـعـرـبـ ذـمـةـ، صـبـورـاـ عـلـىـ الـمـكـارـهـ وـالـأـذـىـ فـيـ سـبـيلـ نـشـرـ دـعـوـتـهـ. وـكـانـ لـاـ يـغـضـبـ لـنـفـسـهـ وـلـاـ يـنـتـقـمـ لـهـ، يـقـبـلـ مـعـذـرـةـ مـنـ اـعـتـدـرـ إـلـيـهـ، يـحـبـ الـفـقـرـاءـ وـالـمـساـكـينـ وـيـأـكـلـ مـعـهـمـ، قـلـيلـ الـأـكـلـ، يـخـتـارـ الـجـوـعـ عـلـىـ الشـبـعـ موـاسـاةـ لـلـفـقـرـاءـ. وـكـانـ (صـ) يـجـلـسـ عـلـىـ التـرـابـ وـيـرـقـعـ ثـوـبـهـ وـيـخـصـ نـعـلـهـ بـيـدـهـ الـكـرـيمـةـ. وـكـانـ لـاـ يـجـلـسـ وـلـاـ يـقـومـ إـلـاـ بـذـكـرـ اللهـ عـلـىـ تـعـالـىـ. وـقـدـ مدـحـهـ اللهـ جـلـ جـلـ بـقـولـهـ تـعـالـىـ: (وـإـنـكـ لـعـلـىـ خـلـقـ عـظـيمـ) (الـقـلـمـ / 4ـ).